

رسالة شيخ الإسلام إلى أصحابه

تأليف شيخ الإسلام

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيميه

(٦٦١- ٧٢٨)

أعتنى بإخراجه وتخريجه

أبو عبدالعزيز

ابراهيم بن سلطان العريفان



إجازة المطبوعة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تم تسجيل هذه المادة لصالح المؤلف/المعد أدناه بعد التعهد بالالتزام بجميع الشروط و الاحكام الخاصة بمحتوى المادة

اسم المادة	رسالة ابن تيمية لأصحابه وهو في حبس الإسكندرية
نوع المادة	كتاب إلكتروني
المحقق	
المترجمون	
المعدون	
المؤلفون	• إبراهيم بن سلطان العريفان
رقم النسخة	1
اسم الناشر باللغة العربية	إبراهيم العريفان
اسم الناشر باللغة الإنجليزية	IBRAHEEM ALURIFAN
رقم التسجيل	202305014434467
تاريخ التسجيل	2023-05-01





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

هذه الرسالة السادسة ضمن الرسائل الميئية(١) من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تتضمن نصيحة في رسالة أرسلها رحمه الله لأصحابه من سجن الأسكندرية(٢)، يوصي بتقوى الله تعالى، والشكر على النعم، والصبر على البلاء، والمداومة على الأعمال الصالحة.

---

(١) استعنت بالله في البدء للعناية برسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهدفي أن أصل إلى مائة رسالة بمشيئة الله تعالى.

(٢) امتُحن شيخ الإسلام ابن تيمية مراتٍ عديدة، وما تكاد تنتهي عاصفة حتى تثور أخرى، حتى قضى نحبه في سجنه رحمه الله، وممَّا يؤلم النفس أن تلك الحملات ضد ابن تيمية لم تكن من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، وإنما من مخالفيه من المسلمين.

عُقدت لابن تيمية رحمه الله مناظرات عديدة في عقيدته، وكان في كل مرة يثبت عقيدة السلف، وينافح عنها، وكان سجنه من أجل عقيدته التي يدافع عنها، أو بالأحرى من أجل عداوة من يردُّ عليهم ويبين ضلالهَم.

ومن أعجب ما يمر بك في سيرة ابن تيمية أنك تجِد كل هذه السجنات التي مرَّ بها بكيدٍ من بعض فقهاء مصر وقضاتها، ثمَّ لما خرج ابن تيمية وأُكرم وصار في موضع القوة؛ استشاره فيهم الملك الناصر محمد قلاوون، ففهم ابن تيمية أنه يريد قتلَهم، فبدأ ابن تيمية يمدحهم، ويثني عليهم، ويقول: **لن تجد مثلهم، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكَّنت ما عنده عليهم.**

فكان القاضي زيد الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: **ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنًا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا.**



فإنَّ ابن تيمية رحمه الله قد سُجن ظلمًا وعدوانًا، لكن ذلك لم يوقف جذوة حبه للخير، فلم تكن تلك السجنات أغلالًا على قلبه وفكره، كيف وهو يقول: **ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة**(٣).

فأصبحت تلك الرسالة لها قيمة وذو أهمية، فاجتهدتُ في العناية على إخراج هذه الرسالة وتخريجها، وبيان معانٍ لبعض الكلمات والمصطلحات، وذكر بعض الفوائد، معتمدًا بعد الله عز وجل بكتب أهل العلم.

أسأل الله أن يرحم شيخ الإسلام ابن تيمية، وأن ينفع بهذه الرسالة وغيرها، وأن يجزي كل من قرأ وأفاد واستفاد، وكل من يتواصل معي بإبداء رأي أو اقتراح أو تنبيه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إبراهيم بن سلطان العريفان

٠٥٦٥٦٥٤٣٢١

المنطقة الشرقية – محافظة الخبر

---

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٨).



رِسَالَةٌ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ – قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ فِي حَبْسِ الإسكندرية[٤]

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ – رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٥]

وَالَّذِي أُعَرِّفُ بِهِ الْجَمَاعَةَ أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، فَإِنِّي -وَاَللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا هُوَ- فِي نِعَمٍ مِنْ اللَّهِ مَا رَأَيْت مِثْلَهَا فِي عُمْرِي كُلِّهِ، وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَبْوَابِ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ وَخَزَائِنِ جُودِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْبَالِ، وَلَا يَدُورُ فِي الْخَيَالِ، مَا يَصِلُ الطَّرْفُ إلَيْهَا، يَسَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى صَارَتْ مَقَاعِدَ، وَهَذَا يَعْرِفُ بَعْضَهَا بِالذَّوْقِ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وَمَا هُوَ مَطْلُوبُ الْأَوَّلِينَ والآخرين مِنْ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

فَإِنَّ اللَّذَّةَ وَالْفَرْحَةَ وَالسُّرُورَ وَطِيبَ الْوَقْتِ وَالنَّعِيمَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ، إنَّمَا هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَانْفِتَاحِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الْقُرْآنِيَّةِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ: لَقَدْ كُنْت فِي حَالٍ أَقُولُ

---

(٤) وهي السجنة الخامسة في غرة ربيع الأول من عام ٧٠٩هـ. وقد بقي في السجن إلى الثامن من شهر شوال من عام ٧٠٩هـ، فكان سجنه ٧ أشهر و٧ أيام.

(٥) سورة الضحى، لاقم الآية (١١).



فِيهَا: إنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي هَذِهِ الحَالِ إنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ(٦). وَقَالَ آخَرُ: لَتَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرَبًا(٧). وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ الْآخِرَةِ إلَّا نَعِيمَ الْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ.

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ (أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ يَا بِلَالُ)(٨) وَلَا يَقُولُ: أَرِحْنَا مِنْهَا كَمَا يَقُولُهُ مَنْ تَثْقُلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٩) وَالْخُشُوعُ: الْخُضُوعُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالسُّكُونُ وَالطُّمَأْنِينَةُ إلَيْهِ بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ (حُبِّبَ إلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ) ثُمَّ يَقُولُ (وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)(١٠) وَلَمْ يَقُلْ: حُبِّبَ إلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ، كَمَا يَرْفَعُهُ بَعْضُ النَّاسِ(١١)، بَلْ هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَد والنسائي أَنَّ الْمُحَبَّبَ إلَيْهِ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَأَمَّا قُرَّةُ الْعَيْنِ تَحْصُلُ بِحُصُولِ

---

(٦) نسبه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/٢٣٨) إلى عابد طرسوسي يقال له: أبو سليمان المغربي.

(٧) نسبه ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/٦٩٨) إلى أبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني.

(٨) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٠٨٨) وأبو داود (٤٩٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

(٩) سورة البقرة، رقم الآية (٤٥).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (١٣٠٧٩) والنسائي (٣٩٤٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(١١) أخرجه الإمام أحمد (١٤٠٦٩) والنسائي (٣٩٣٩). قال ابن حجر في الكافي الشاف (٤٩): **ليس في شيء من طرقه لفظ ثلاث، وزيادة ثلاث تفسد المعنى**. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/٢٨): **ليس بمحفوظ، فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا، وإنما هي من أهم شؤون الآخرة**. وقال العلامة ابن باز في فتاوى نور على الدرب (٣٤/١٤٥): **ف (ثلاث) غلط من بعض الرواة**.



الْمَطْلُوبِ، وَذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ.

وَالْقُلُوبُ فِيهَا وَسْوَاسُ النَّفْسِ، وَالشَّيْطَانُ يَأْمُرُ بِالشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ طِيبَ عَيْشِهَا، فَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُعَذَّبٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ نَالَ مُرَادَهُ عُذِّبَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَنَلْهُ فَهُوَ فِي الْعَذَابِ وَالْحَسْرَةِ وَالْحُزْنِ.

وَلَيْسَ لِلْقُلُوبِ سُرُورٌ وَلَا لَذَّةٌ تَامَّةٌ إِلَّا فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا يُحِبُّهُ، وَلَا تُمْكِنُ مَحَبَّتُهُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ سِوَاهُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ (قُولُوا: أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[١٢] وَالْحَنِيفُ لِلسَّلَفِ فِيهِ ثَلَاثُ عِبَارَاتٍ[١٣]:

---

(١٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣٦٤) والنسائي في السنن الكبرى (٩٨٣١) عن عبدالرحمن بن أبزى رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٩).

(١٣) الاختلاف الذي يقع عند السلف، يرجع في الغالب إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، مع وجود اختلاف محقق بينهم، وهو ما يُسمى بالتَّضاد، لكنه قليل بالنسبة لاختلاف التنوع.

واختلاف التنوع نوعان:

الأول: ما يكون أحد القولين في معنى القول الآخر لكنِ العبارتان مختلفتان.

الثاني: ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وذلك قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر.

وضابط اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان، وهذا يعني أنه لا يمكن حمل النص عليهما معًا، فإذا قيل بأحد القولين انتفى القول الآخر.



قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: مُسْتَقِيمًا.

وَقَالَ عَطَاءٌ: مُخْلِصًا.

وَقَالَ آخَرُونَ: مُتَّبِعًا.

فَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْقَلْبِ إِلَى اللهِ دُونَ مَا سِوَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[١٤] وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[١٥] قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: فَلَمْ يَلْتَفِتُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً[١٦]. فَلَمْ يَلْتَفِتُوا بِقُلُوبِهِمْ إِلَى مَا سِوَاهُ لَا بِالْحُبِّ وَلَا بِالْخَوْفِ وَلَا بِالرَّجَاءِ[١٧]، وَلَا بِالسُّؤَالِ، وَلَا بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، بَلْ لَا يُحِبُّونَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا يُحِبُّونَ مَعَهُ أَنْدَادًا وَلَا يُحِبُّونَ إِلَّا إِيَّاهُ، لَا لِطَلَبِ مَنْفَعَةٍ وَلَا لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ، وَلَا يَخَافُونَ غَيْرَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَلَا يَسْأَلُونَ غَيْرَهُ وَلَا يَتَشَرَّفُونَ بِقُلُوبِهِمْ إِلَى غَيْرِهِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١٤) سورة فصلت، رقم الآية (٦).

(١٥) سورة فصلت، رقم الآية (٣٠).

(١٦) ذكر الإمام الطبري في تفسيره الآية، روايات عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٠/٤٢٢) منها:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ عِمْرَانَ، قَالَ: قَدْ قُرِئَتْ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قَالَ: **هُمُ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا**.

وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قَالَ: قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ عَمِلُوا بِهَا، قَالَ: **لَقَدْ حَمَلْتُمُوهَا عَلَى غَيْرِ الْمَحْمَلِ** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ الَّذِينَ لَمْ يَعْدِلُوهَا بِشِرْكٍ وَلَا غَيْرِهِ.

(١٧) تقوم العبادة على أركان، باجتماعها يحصل كمال العبودية لله عز وجل، وهي: المحبة، والرجاء، والخوف، فلا يجوز إهمال واحد منها، كما قال علماؤنا رحمهم الله: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. انظر: كتاب العبودية لشيخ الإسلام ص: ١٦١-١٦٢.



لِعُمَرِ رضي الله عنه (مَا أَتَاك مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ سَائِلٍ وَلَا مُتَشَرِّفٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَك) فَالسَّائِلُ بِلِسَانِهِ وَالْمُتَشَرِّفُ بِقَلْبِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ[١٨].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ (مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ) مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ[١٩] فَالْغِنَى فِي الْقَلْبِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)[٢٠] وَالْعَفِيفُ الَّذِي لَا يَسْأَلُ بِلِسَانِهِ لَا نَصْرًا وَلَا رِزْقًا، قَالَ تَعَالَى ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[٢١] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٢٢] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ إلَى آخِرِ السُّورَةِ[٢٣].

---

(١٨) أخرجه البخاري (١٤٧٣) ومسلم (١١٠-١٠٤٥).

(١٩) أخرجه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٢٤-١٠٥٣).

(٢٠) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٢٠-١٠٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢١) سورة الملك، رقم الآية (٢٠-٢١).

(٢٢) سورة الأنفال، رقم الآية (٤٠).

(٢٣) سورة الأنبياء، رقم الآية (٧٨) وتمامها ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾



وَقَالَ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢٤] أَيْ: لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ[٢٥]. فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرِهِ لِعَبْدِهِ وَتَيْسِيرِهِ لَهُ أَسْبَابَ الْخَيْرِ مِنْ الْهُدَى لِلْقُلُوبِ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَالتَّبْصِيرِ، يَدْفَعُ عَنْهُ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مَا لَا تَبْلُغُ الْعِبَادُ قَدْرَهُ.

وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[٢٦].

وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ حَقَائِقَ مَا جَاءَ بِهِ، إِنَّمَا عِنْدَهُمْ قِسْطٌ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[٢٧] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٢٨] وَالْجِهَادُ يُوجِبُ هِدَايَةَ السَّبِيلِ إِلَيْهِ.

---

(٢٤) سورة الشورى، رقم الآية (١١).

(٢٥) أسماء الله: كلُّ ما دلَّ على ذات الله مع صِفات الكمال القائِمة به؛ مثل: القادر، العليم، الحكيم، السَّميع، البصير، فإنَّ هذه الأسماءَ دلَّتْ على ذات الله، وعلى ما قام بها مِن العلم والحِكمة والسَّمْع والبَصَر.

أمَّا الصِّفات: فهي نعوتُ الكمال القائمة بالذات؛ كالعِلم، والحِكمة، والسمع، والبَصَر.

فكل اسم من أسماء الله فهو متضمِّن لصفة ولا عكس؛ لأنَّ أسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف، فالاسم دلَّ على أمرين، والصِّفة دلَّتْ على أمرٍ واحد.

أما الفعل: كلُّ وصْف كمال قائِم بذات الله ثابت في النقْل، يتعلَّق بمشيئتِه وقُدرته، ويرتبط بزمانٍ ومكان.

(٢٦) سورة الأعراف، رقم الآية (١٥٧) وتمامها ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(٢٧) سورة محمد، رقم الآية (١٧).

(٢٨) سورة العنكبوت، رقم الآية (٦٩).



وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٩] فَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ الرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ حَسْبُهُ: أَيْ كَافِيهِ وَهَادِيهِ وَنَاصِرُهُ. أَيْ: كَافِيهِ كِفَايَتَهُ وَهِدَايَتَهُ وَنَاصِرُهُ وَرَازِقُهُ.

فَالْإِنْسَانُ ظَالِمٌ جَاهِلٌ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٣٠] وَإِنَّمَا غَايَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَجُنْدِهِ الْغَالِبِينَ التَّوْبَةُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٣١] وَتَوْبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِهِ وَعَلَى قَدْرِ مَقَامِهِ وَحَالِهِ، وَلِهَذَا كَانَ الدِّينُ مَجْمُوعًا فِي التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ، قَالَ تَعَالَى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٣٢] وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾[٣٣] وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٣٤] فَفِعْلُ جَمِيعِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكُ جَمِيعِ الْمَحْظُورَاتِ يَدْخُلُ فِي التَّوْحِيدِ فِي قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ الطَّاعَاتِ لِلَّهِ وَيَتْرُكْ الْمَعَاصِيَ لِلَّهِ: لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ عَمَلَهُ، قَالَ

---

(٢٩) سورة الأنفال، رقم الآية (٦٤).

(٣٠) سورة الأحزاب، رقم الآية (٧٢) وتمامها ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

(٣١) سورة النصر، رقم الآية (٣).

(٣٢) سورة محمد، رقم الآية (١٩).

(٣٣) سورة فصلت، رقم الآية (٦).

(٣٤) سورة هود، رقم الآية (٩٠).



تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣٥] قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ، تَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنْ اللَّهِ، تَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ[٣٦] وَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِحَسَبِ حَالِهِ[٣٧].

وَالْعَبْدُ إذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ فَشَهِدَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ – وَالْإِلَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ غَايَةَ الْحُبِّ وَالْعُبُودِيَّةِ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، يَفْنَى الْقَلْبُ بِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ حُبِّ مَا سِوَاهُ، وَدُعَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَسُؤَالِهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَبِطَاعَتِهِ عَنْ طَاعَةِ مَا سِوَاهُ– حَلَّاهُ اللَّهُ بِالْأَمْنِ وَالسُّرُورِ وَالْحُبُورِ وَالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ يُجَاهِدُ

---

(٣٥) سورة المائدة، رقم الآية (٢٧).

(٣٦) أخرج هذا الأثر: ابن المبارك في الزهد (ص:٤٧٣) وهناد في الزهد (٢٩٦/١) وأبو نعيم في الحلية (٦٤/٣) والبيهقي في الزهد، رقم (٩٦٣).

(٣٧) من لطف الله ﷻ بعباده أن يسر لهم أبواب التوبة والاستغفار. جاء في صحيح البخاري (٦٣٠٧) عنه ﷺ قال (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً) فيقسم رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أنه يتوب إلى الله تعالى ويستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة، مع أنه المعصوم من رب العالمين؛ وذلك تشريعًا وتعليمًا لأمته، وطلبًا لفضل الله تعالى وكرمه.

وجاء في صحيح مسلم (٤١–٢٧٠٢) عنه ﷺ قال (إِنَّه لَيُغَانُ على قَلْبِي، وإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ) قال أهل اللغة: الغين والغيم بمعنى واحد. والمراد هنا: ما يتغشى القلب. قال القاضي: **قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه. فإذا افتر عنه أو غفل، عدَّ ذلك ذنبًا، واستغفر منه**. أ.هـ. وظاهر الكلام أنه ﷺ يطلب المغفرة ويعزم على التوبة، بأي صيغة كانت، ويحتمل أن يكون المراد قول هذا اللفظ بعينه (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ). والعدد: المراد منه الإشارة للكثرة وليس المراد الحصر فيه، والله أعلم.



وَيَرْحَمُ. لَهُ الصَّبْرُ وَالرَّحْمَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[٣٨] وَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ قَوِيَ إِيمَانُهُ وَطُمَأْنِينَتُهُ وَتَوَكُّلُهُ وَيَقِينُهُ.

وَالْخَوْفُ الَّذِي يَحْصُلُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾[٣٩] وَكَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي قِصَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٤٠] وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ[٤١])[٤٢] فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ رِيَاسَةٌ لِمَخْلُوقٍ، فَفِيهِ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

فَلَمَّا خَوَّفُوا خَلِيلَهُ بِمَا يَعْبُدُونَهُ وَيُشْرِكُونَ بِهِ –الشِّرْكَ الْأَكْبَرَ كَالْعِبَادَةِ– قَالَ

---

(٣٨) سورة البلد، رقم الآية (١٧).

(٣٩) سورة آل عمران، رقم الآية (١٥١).

(٤٠) سورة الأنعام، رقم الآية (٨٠-٨٢).

(٤١) في هذا الحديثِ تَحذيرٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لِكُلِّ عبدٍ مِن أنْ يَكونَ عَبدًا لِشَهَواتِه، فقوله ﷺ (**تَعِسَ**) أي: عَثَرَ وسَقَطَ على وَجْهِه. وهذَا إمَّا إخبارٌ مِن النبيِّ ﷺ أو دُعاءٍ.
والدِّينارُ مِنَ الذَّهَبِ، والدِّرهَمُ مِنَ الفِضَّةِ، والخَميصةُ: ثوب من خَزٍّ أو صوف مُعَلَّمٍ، والخَزُّ: نسيجٌ من حَريرٍ خالِصٍ، أو من حَريرٍ وصُوفٍ. والخَميلَةُ: القطيفة، وهي نَسيجٌ لَه وَبَر. وقوله (**تَعِسَ وانْتَكَسَ**) أي: تَعِسَ وانقلَبَ على رَأْسِه (**وإذا شِيكَ فلا انْتُقِشَ**) وإذا أصابَتْه شَوكةٌ فلا قَدِرَ على إخراجِها بالمِنقاشِ، ولا خَرَجتْ.

(٤٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



الْخَلِيلُ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يَقُولُ: إِنْ تُطِيعُوا غَيْرَ اللَّهِ وَتَعْبُدُوا غَيْرَهُ، وَتُكَلِّمُونِ فِي دِينِهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: تُشْرِكُونَ بِاَللَّهِ وَلَا تَخَافُونَهُ، وَتُخَوِّفُونِي أَنَا بِغَيْرِ اللَّهِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْأَمْنَ!! إلَى قَوْلِهِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٤٣] أَيْ: هَؤُلَاءِ الْمُوَحِّدُونَ الْمُخْلِصُونَ. وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد لِبَعْضِ النَّاسِ: لَوْ صَحَحْتَ لَمْ تَخَفْ أَحَدًا[٤٤].

وَلَكِنْ لِلشَّيْطَانِ وَسْوَاسٌ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ إِلَى قوله تعالى ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٤٥] أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ –صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– لَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوَسْوِسَونَ الْقَوْلَ الْمُزَخْرَفَ.

---

(٤٣) سورة الأنعام، رقم الآية (٨٢). تمام الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

(٤٤) ذكره ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، ص: ٢٦٨

(٤٥) سورة الأنعام، رقم الآية (١١٢-١١٦)، وتمام الآيات ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ * أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.



وَنَهَى أَنْ يَطْلُبَ حُكْمًا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ وَالْكِتَابُ هُوَ الْحَاكِمُ بَيْنَ النَّاسِ شَرْعًا وَدِينًا، وَيَنْصُرُ الْقَائِمَ نَصْرًا وَقَدَرًا. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(٤٦) وَقَالَ تَعَالَى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٤٧) وَقَالَ تَعَالَى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٤٨) وَالْمِيزَانُ هُوَ الْعَدْلُ، وَمَا بِهِ يُعْرَفُ الْعَدْلُ. وَأَنْزَلَ الْحَدِيدَ لِيَنْصُرَ الْكِتَابَ، فَإِنْ قَامَ صَاحِبُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَعِيدًا مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْكِتَابَ بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَانْتَقَمَ مِمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤٩) وَقَوْلِهِ ﷺ

---

(٤٦) سورة الأعراف، رقم الآية (١٩٦).

(٤٧) سورة الجاثية، رقم الآية (١٨-١٩) وتمام الآية ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

(٤٨) سورة الحديد، رقم الآية (٢٥). وتمام الآية ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

(٤٩) سورة التوبة، رقم الآية (٤٠). وتمام الآية ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

لِأَبِي بَكْرٍ[٥٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٥١] وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٥٢] وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٥٣].

وَكُلُّ مَنْ وَافَقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي أَمْرٍ خَالَفَ فِيهِ غَيْرَهُ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ذَلِكَ، وَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فَإِنَّ الْمَعِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ[٥٤] الْمُتَضَمِّنَةَ لِلنَّصْرِ هِيَ لِمَا جَاءَ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ ذَلِكَ وَجَرَّبْنَا مَا يَطُولُ وَصْفُهُ.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[٥٥]. وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥٦] وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ

---

(٥٠) قال أبو بكر ﷺ: قُلْتُ للنبيِّ ﷺ وأنَا في الغَارِ: لو أنَّ أحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ (ما ظَنُّكَ يا أبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا!!) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (١-٢٣٨١).

(٥١) سورة التوبة، رقم الآية (٤٠).

(٥٢) سورة النحل، رقم الآية (١٢٨).

(٥٣) سورة البقرة، رقم الآية (١٥٣).

(٥٤) المعية المضافة إلى الله نوعان: معية عامة، ومعية خاصة.

المعية العامة: مقتضاها العلم، والسمع، والبصر، فهي عامة للبر والفاجر.

والمعية الخاصة: مقتضاها الحفظ، والنصر، والتأييد، والعناية، والرعاية منه سبحانه وتعالى لأوليائه من المرسلين والمؤمنين.

والمعية من حيث اللغة تفيد المصاحبة، ولكن ليس من لازم المصاحبة المخالطة. ولذا يقررها أهل العلم من أهل السنة والجماعة بعد ذكر العلو لنفي توهم أن علوه سبحانه وتعالى ينافي معيته.

(٥٥) سورة فصلت، رقم الآية (٥٣)، وتمامها ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾.

(٥٦) سورة القصص، رقم الآية (٨٣).



﴿وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾(٥٧) فَمَنْ شَنَأَ(٥٨) شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَلَهُ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ بِالْمَسْجِدِ أَقْوَامًا يَجْلِسُونَ، وَيَجْلِسُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَنْ جَلَسَ لِلنَّاسِ جَلَسَ النَّاسُ إِلَيْهِ، لَكِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ [يَمُوتُونَ](٥٩) وَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ، وَأَهْلَ الْبِدْعَةِ يَمُوتُونَ وَيَمُوتُ ذِكْرُهُمْ(٦٠). وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ شَنَئُوا بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَأَبْتَرَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَالَّذِينَ أَعْلَنُوا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَصَارَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فَإِنَّ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَابِعِينَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيمَانِهِمْ. فَمَا كَانَ مِنْ خَصَائِصِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فَلَمْ يُشَارِكْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ ثَوَابِ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ نَصِيبٌ بِقَدْرِ ذَلِكَ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(٦١) بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، وَبِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وَهَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. لَكِنَّ الْجِهَادَ الْمَكِّيَّ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، وَالْجِهَادَ الْمَدَنِيَّ مَعَ الْمَكِّيِّ بِالْيَدِ وَالْحَدِيدِ.

---

(٥٧) سورة الكوثر، رقم الآية (٢-٣).

(٥٨) شنأ شنئته: تقذرته بغضًا له. ومنه قوله تعالى﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ أي: بغضهم. وقوله ﷻ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المنقطع أثره، المقطوع من كل خير.

(٥٩) تصحيح.

(٦٠) راجع تلخيص الاستغاثة لابن كثير (ص:٧٦).

(٦١) سورة الصف، رقم الآية (٩).



قَالَ تعَالَى ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[٦٢] وَسُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ، وَإِنَّمَا جَاهَدَهُمْ بِاللِّسَانِ وَالْبَيَانِ وَلَكِنْ يَكُفُّ عَنْ الْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا قَدْ بَيَّنَ فِي الْمَكِّيَّةِ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[٦٣] وَقَالَ تعَالَى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٦٤] وَقَالَ تعَالَى ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٦٥] فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلَهُ.

وَالنَّاسُ رَجُلَانِ:

رَجُلٌ يَقُولُ أَنَا مُؤْمِنٌ بِهِ مُطِيعُهُ، فَهَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُمْتَحَنَ حَتَّى يُعْلَمَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ.

وَرَجُلٌ مُقِيمٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَهَذَا قَدْ عَمِلَ السَّيِّئَاتِ، فَلَا يَظُنُّ أَنْ يَسْبِقُونَا بَلْ لَا بُدَّ أَنْ نَأْخُذَهُمْ.

وَمَا لِأَحَدٍ مِنْ خُرُوجٍ عَنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ، قَالَ تعَالَى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ

---

(٦٢) سورة الفرقان، رقم الآية (٥٢).

(٦٣) سورة محمد، رقم الآية (٣١).

(٦٤) سورة البقرة، رقم الآية (٢١٤).

(٦٥) سورة العنكبوت، رقم الآية (١-٤). تمام الآية ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.



فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾(٦٦) فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ حَالَ مَنْ يُجَادِلُ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ، وَالْعِلْمُ هُوَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ وَهُوَ السُّلْطَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾(٦٧) فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ كَانَ مُتَكَلِّمًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَمَنْ تَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمَنْ انْقَادَ لِدِينِ اللَّهِ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْيَقِينِ، بَلْ إِنْ أَصَابَهُ مَا يَهْوَاهُ اسْتَمَرَّ، وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يُخَالِفُ هَوَاهُ رَجَعَ، وَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ. وَالْحَرْفُ هُوَ الْجَانِبُ، كَحَرْفِ الرَّغِيفِ وَحَرْفِ الْجَبَلِ لَيْسَ مُسْتَقِرًّا بِثَبَاتِ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ أَيْ مِحْنَةٌ امْتُحِنَ بِهَا ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(٦٨) مَعْنَاهُ: خَسِرَ الدُّنْيَا بِمَا امْتُحِنَ بِهِ وَخَسِرَ الْآخِرَةَ بِرُجُوعِهِ عَنْ الدِّينِ ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ الْآيَةَ(٦٩) أَيْ يَدْعُو الْمَخْلُوقِينَ، يَخَافُهُمْ وَيَرْجُوهُمْ وَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لَهُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، بَلْ ضَرُّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمْ. وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا فِي شَخْصٍ مُعَيَّنٍ أَسْلَمَ وَكَانَ مُشْرِكًا(٧٠) فَحُكْمُهَا عَامٌّ فِي كُلِّ

---

(٦٦) سورة الحج، رقم الآية (٣-١٣).

(٦٧) سورة غافر، رقم الآية (٥٦).

(٦٨) سورة الحج، رقم الآية (١١).

(٦٩) سورة الحج، رقم الآية (١٢).

(٧٠) ذكر الفخر الرازي في تفسير (٢٣/٢٠٨-٢٠٩): قَالَ الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَعْرَابٍ كَانُوا يَقْدَمُونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ مُهَاجِرِينَ مِنْ بَادِيَتِهِمْ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا صَحَّ بِهَا جِسْمُهُ وَنَتَجَتْ فَرَسُهُ

مَنْ تَنَاوَلَهُ لَفْظُهَا وَمَعْنَاهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(٧١).

فَكُلُّ مَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَالْعِيَانُ يُصَدِّقُ هَذَا، فَإِنَّ الْمَخْلُوقِينَ إِذَا اشْتَكَى إِلَيْهِمْ الْإِنْسَانُ فَضَرَرُهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمْ. وَالْخَالِقَ -جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ- إِذَا اشْتَكَى إِلَيْهِ الْمَخْلُوقُ وَأَنْزَلَ حَاجَتَهُ بِهِ وَاسْتَغْفَرَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ، أَيَّدَهُ وَقَوَّاهُ وَهَدَاهُ وَسَدَّ فَاقَتَهُ وَأَغْنَاهُ وَقَرَّبَهُ وَأَقْنَاهُ وَحَبَّهُ وَاصْطَفَاهُ. وَالْمَخْلُوقُ إِذَا أَنْزَلَ الْعَبْدُ بِهِ حَاجَتَهُ اسْتَرْذَلَهُ وَازْدَرَاهُ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَإِنْ قَضَى لَهُ بِبَعْضِ مَطْلَبِهِ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنْ بَعْضِ

مُهْرًا حَسَنًا وَوَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلَامًا وَكَثُرَ مَالُهُ وَمَاشِيَتُهُ رَضِيَ بِهِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ، وَإِنْ أَصَابَهُ وَجَعٌ وَوَلَدَتِ امْرَأَتُهُ جَارِيَةً أَوْ أُجْهِضَتْ رِمَاكُهُ، وَذَهَبَ مَالُهُ وَتَأَخَّرَتْ عَنْهُ الصَّدَقَةُ، أَتَاهُ الشَّيْطَانُ وَقَالَ لَهُ: مَا جَاءَتْكَ هَذِهِ الشُّرُورُ إِلَّا بِسَبَبِ هَذَا الدِّينِ. فَيَنْقَلِبُ عَنْ دِينِهِ. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ.

وَثَانِيهَا: وَهُوَ قَوْلُ الضَّحَّاكِ، نَزَلَتْ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، مِنْهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَدْخُلُ فِي دِينِ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ أَصَبْنَا خَيْرًا عَرَفْنَا أَنَّهُ حَقٌّ، وَإِنْ أَصَبْنَا غَيْرَ ذَلِكَ عَرَفْنَا أَنَّهُ بَاطِلٌ.

وَثَالِثُهَا: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: أَسْلَمَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَذَهَبَ بَصَرُهُ وَمَالُهُ وَوَلَدُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِلْنِي! فَإِنِّي لَمْ أُصِبْ مِنْ دِينِي هَذَا خَيْرًا، ذَهَبَ بَصَرِي وَوَلَدِي وَمَالِي!! فَقَالَ ﷺ (إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُقَالُ، إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَسْبِكُ كَمَا تَسْبِكُ النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

ثم قال رحمه الله: أما قوله ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وما لَا يَنْفَعُهُ﴾ فَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ الْمُشْرِكُ الَّذِي يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، وَهَذَا كَالدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ لَمْ تَرِدْ فِي الْيَهُودِيِّ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ الْأَصْنَامَ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهَا وَارِدَةٌ فِي الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ انْقَطَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى وَجْهِ النِّفَاقِ، وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ.

(٧١) قاعدة يذكرها العلماء وهي (**العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**) فالنص العام الوارد بخصوص سبب من الأسباب، فإنه يعمل به على عمومه ولا يخصص بذلك السبب.



رَعَايَاهُ يَسْتَعْبِدُهُ بِمَا يَهْوَاهُ، قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٧٢) وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٧٣) وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٧٤).

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ قَدْ كَتَبْتُ فِيهِ شَيْئًا كَثِيرًا وَعَرَفْتُهُ عِلْمًا وَذَوْقًا وَتَجْرِبَةً(٧٥).

فَصْلٌ:

وَفِي الْجُمْلَةِ مَا يُبَيِّنُ نِعَمَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيَّ، وَأَنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ أَعْظَمُ قَدْرًا وَأَكْثَرُ عَدَدًا، مَا لَا يُمْكِنُ حَصْرُهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَنْقُصُ عَلَيَّ الْجَمَاعَةُ، فَأَنَا أُحِبُّ لَهُمْ أَنْ يَنَالُوا مِنَ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ وَالنَّعِيمِ، مَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، وَأَنْ يُفْتَحَ لَهُمْ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، مَا يَصِلُونَ بِهِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَأُعَرِّفُ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدْرَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِالذَّوْقِ وَالْوَجْدِ(٧٦)، لَكِنْ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، وَيَسْتَدِلُّ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ

---

(٧٢) سورة العنكبوت، رقم الآية (١٦).

(٧٣) سورة آل عمران، رقم الآية (١٦٠).

(٧٤) سورة آل عمران، رقم الآية (١٣٩).

(٧٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٣٠).

(٧٦) أهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي ﷺ بقوله في الحديث الصحيح (ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ



عَلَى الْكَثِيرِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْكَبِيرَ.

وَأَنَا أَعْرِفُ أَحْوَالَ النَّاسِ وَالْأَجْنَاسِ وَاللَّذَّاتِ. وَأَيْنَ الدُّرُّ مِنْ الْبَعْرِ[٧٧]؟ وَأَيْنَ الفالوذج مِنْ الدِّبْسِ[٧٨]؟ وَأَيْنَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ الْبَهِيمَةِ أَوْ الْبَهَائِمِ؟ لَكِنْ أَعْرِفُ أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ وَحُسْنَ اخْتِيَارِهِ وَلُطْفَهُ وَرَحْمَتَهُ يَقْتَضِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَيُجَاهِدَ فِي سَبِيلِهِ -عِلْمًا وَعَمَلًا بِحَسَبِ طَاقَتِهِ- لِيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَيَكُونَ مَقْصُودُهُ أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَلَا يَكُونُ حُبُّهُ وَبُغْضُهُ وَمُعَادَاتُهُ وَمَدْحُهُ وَذَمُّهُ إلَّا لِلَّهِ، لَا لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ.

وَالْهَادِي الْمُطْلَقُ الَّذِي يَهْدِي إلَى كُلِّ خَيْرٍ -وَكُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إلَى هِدَايَتِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ- هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَفْضَلُ أُمَّتِهِ أَفْضَلُهُمْ مُتَابَعَةً لَهُ، وَهَذَا يَكُونُ بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْجِهَادِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا

يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٦٧-٤٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال ﷺ في الحديث الآخر (ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِيَ باللَّهِ رَبًّا، وبالإسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسولًا) أخرجه مسلم (٥٦-٣٤) عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه. فهذه أذواق إيمانية جاءت للإنسان من جراء العمل الصالح الذي قام به.

(٧٧) في كل القواميس العربية البعر كمعنى أول: رَجِيع ذوات الخُفّ وذوات الظِّلف، أي: براز الإبل الذي تدوسه تلك الحيوانات ويترك أو يتطاير خلفها. وكمعنى ثانٍ: ما يخرج من بطون الغَنَم والإبل وما شابهها، وليس الإبل فقط.

(٧٨) الفالوذج: صنف من أصناف الحلوى التي كانت شهيرة ويألف العرب أكلها، وهي تعمل من الدقيق والماء والعسل. وحسبما جاء في المعاجم اللغوية فهي لفظة معربة عن "بالوذة" (بالوظة).

الدبس: شراب مركّز داكن اللون مائل إلى اللون الأحمر وهو حلو المذاق، وله عدة أنواع، يستعمل الدبس في معظم البلدان العربية حيث يخلط عادة مع مكونات أخرى لصنع الحلويات وفي بعض الأحيان يؤكل مباشرة مع القشدة أو الطحينة.



بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٧٩] فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلُهَا: أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَثَانِيهَا: لَا يَرْتَابُ بَعْدَ ذَلِكَ.

ثَالِثُهَا[٨٠]: أَنْ يَكُونَ مُوقِنًا ثَابِتًا.

وَالْيَقِينُ يُخَالِفُ الرَّيْبَ، وَالرَّيْبُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ يَكُونُ شَكًّا لِنَقْصِ الْعِلْمِ. وَنَوْعٌ يَكُونُ اضْطِرَابًا فِي الْقَلْبِ.

وَكِلَاهُمَا لِنَقْصِ الْحَالِ الْإِيمَانِيِّ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ عِلْمِ الْقَلْبِ وَلَيْسَ كُلُّ مَكَانٍ يَكُونُ لَهُ عِلْمٌ يَعْلَمُهُ. وَعَمَلُ الْقَلْبِ أَوْ بَصِيرَتُهُ وَثَبَاتُهُ وَطُمَأْنِينَتُهُ وَسَكِينَتُهُ وَتَوَكُّلُهُ وَإِخْلَاصُهُ وَإِنَابَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ، يُقَالُ: رَابَنِي كَذَا، وَكَذَا يَرِيبُنِي، أَيْ حَرَّكَ قَلْبِي، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ[٨١] فَقَالَ (لَا يَرِيبُهُ أَحَدٌ)[٨٢] أَيْ : لَا يُحَرِّكُهُ أَحَدٌ[٨٣]. وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ

---

(٧٩) سورة الحجرات، رقم الآية (١٥) وتمام الآية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

(٨٠) كلمة (ثالثها) ليست موجودة.

(٨١) الحاقِفُ: الواقفً المنثِني والمنحني ،أي: صار رأسُه منحَنِيًا بينَ يدَيه إلى رِجْلَيه، وقيل: نام وقد انحَنى في نومِه.

(٨٢) أخرجة النسائي (٢٨١٨) عن زيد بن كعب البهزي ﵁.

(٨٣)هذا الظَّبيُ فيه سهمٌ، فقيل: إنَّ هناك مَن رَماه بسهمٍ فبَقي فيه السَّهمُ ولم يَقتُلْه، وقيل: إنَّ هناك سَهمًا



طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ)[٨٤] فَإِنَّ الصَّادِقَ مَنْ لَا يَقْلَقُ قَلْبُهُ، وَالْكَاذِبَ يَقْلَقُ قَلْبُهُ.

وَلَيسَ هُنَاكَ شَكٌّ، بَلْ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّيْبَ أَعَمُّ مِنْ الشَّكِّ[٨٥]، وَلِهَذَا فِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِك مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِك)

في هذا الظِّلِّ للاصْطِيادِ، فزعَم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمَر رجُلًا يقِفُ عنده لا يَريبُه أحدٌ مِن النَّاسِ حتَّى يُجاوِزَه. أي: إنَّ النَّبيَّ ﷺ أمَر واحدًا مِن أصحابِه أن يَقِفَ عندَ هذا الظَّبي كالحارسِ له؛ حتَّى لا يتعرَّضَ له أحدٌ، ويُزعِجَه؛ فقيل: لأنَّ المحرِمَ لا يجوزُ له أن يُنفِّرَ الصَّيدَ.

(٨٤) أخرجه الإمام أحمد (١٧٢٣) والترمذي (٢٥١٨) واللفظ لهما، والنسائي (٥٧١١) مختصرًا، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما. وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

(٨٥) عندما نرجع لكتب القواميس نجدهم يقولون: إن الريب هو الشك والظن، رغم إن القرآن استخدم الكلمتين مع بعض في سياق واحد ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ سورة سبأ، رقم الآية (٥٤) ﴿قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ سورة هود، رقم الآية (٦٢).

والقاعدة: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى ضرورة. والخطاب القرآني محكم في صياغته ومبناه، فكل كلمة فيه تؤدي معنى غير الكلمة الأخرى، ولا يحل كلمة بدل أخرى، فهذا نقض للإحكام والخطاب العلمي في القرآن.

(الشك) كلمة تدل على عملية ذهنية متعلقة بعدة احتمالات متناقضة بالحكم على الشيء ثبوتاً أو نفياً، صواباً أو خطأ، حقاً أو باطلاً، تمنع صاحبه من اتخاذ موقف. و(الريب) كلمة تدل على اضطراب وقلق وخطأ ونقص واتهام، فهي وصف وليس حكماً على الشيء.

فقوله ﷻ ﴿فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ بمعنى شك نتج عنه اضطراب وخوف وقلق واتهام للآخر، بنفي الصدق والحق عنه.



الْحَدِيثَ إِلَى آخِرِهِ[٨٦]. وَفِي الْمُسْنَدِ والترمذي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ[٨٧] ﷺ أَنَّهُ قَالَ (سَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَ خَيْرٌ مِنْ الْيَقِينِ وَالْعَافِيَةِ، فَاسْأَلُوهَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)[٨٨] وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَاءٌ يَقَنٌ، إِذَا كَانَ سَاكِنًا لَا يَتَحَرَّكُ. فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ مُطَمْئِنٌ لَا يَكُونُ فِيهِ رَيْبٌ. هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٨٩] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ، فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَك عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاَللَّهِ إِنِّي أَرَاهُ مُؤْمِنًا! قَالَ (أَوْ مُسْلِمًا)[٩٠] مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ (إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ

---

(٨٦) تمام الحديث: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢) والنسائي في السنن الكبرى (١٠١٦١). وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٥٠٢).

(٨٧) لم أجد رواية عن أبي بكرة ﷺ، وربما خطأ في النسخ، والصواب: عن أبي بكر ﷺ.

(٨٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٤) والترمذي (٣٥٥٨) والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٥١) عن أبي بكر الصديق ﷺ. وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٦٣٢). وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ عند الإمام أحمد (١٢٢٩١) والترمذي (٣٥١٢) وابن ماجه (٣٨٤٨) واللفظ له (سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ) ضعّفه الألباني في السنن.

(٨٩) سورة الحجرات، رقم الآية (١٥).

(٩٠) قوله ﷺ (أَوْ مُسْلِمًا) أي: لا تُسرعْ بالحُكمِ عليه بالإيمانِ، فكان هذا زَجرًا لسَعدٍ عنِ الشَّهادةِ بالإيمانِ؛



أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ)[٩١] وَلِهَذَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ وَغَيْرُهُ مِنْ السَّلَفِ: الْإِسْلَامُ دَائِرَةٌ كَبِيرَةٌ وَالْإِيمَانُ دَائِرَةٌ فِي وَسَطِهَا، فَإِذَا زَنَى الْعَبْدُ خَرَجَ مِنْ الْإِيمَانِ إلَى الْإِسْلَامِ[٩٢]. كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[٩٣].

وَهَذَا أَظْهَرُ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ: إنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابَ الَّذِينَ قَالُوا: أَسْلَمْنَا وَنَحْوَهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ الْمُتَقَدِّمُ فِي قُلُوبِهِمْ يُثَابُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾[٩٤] وَهم لَيْسُوا بِكُفَّارٍ وَلَا مُنَافِقِينَ، بَلْ لَمْ يَبْلُغُوا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَكَمَالَهُ، فَنُفِيَ عَنْهُمْ كَمَالُ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ، وَإِنْ كَانُوا يَدْخُلُونَ فِي الْإِيمَانِ[٩٥] مِثْلُ

لأنَّ الإيمانَ باطنٌ في القلبِ، لا اطِّلاعَ للعبدِ عليه؛ فالشَّهادةُ به شَهادةٌ على ظنٍّ، فلا يَنْبغي الجزمُ بذلك، وأمَرَه أنْ يَشهَدَ بالإسلامِ؛ لأنَّه أمرٌ مُطَّلَعٌ عليه.

(٩١) أخرجه البخاري (٢٧) ومسلم (٢٣٦-١٥٠).

(٩٢) ذكره عبدالله ابن الإمام أحمد رحمهما الله في كتاب السنة (٧٥٧)، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، نا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، نا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ: **هَذَا الْإِسْلَامُ وَدَوَّرَ دَائِرَةً فِي وَسَطِهَا دَائِرَةٌ أُخْرَى، وَهَذَا الْإِيمَانُ الَّتِي فِي وَسَطِهَا مَقْصُورٌ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَقَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ: رَجَعَ إِلَى الْإِيمَانِ.**

(٩٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (١٠٠-٥٧) عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم.

(٩٤) سورة الحجرات، رقم الآية (١٤).

(٩٥) الفرق بين الإسلام والإيمان من المسائل التي أطال العلماء في بيانها في كتب العقائد، وحاصل ما يقررونه



قَوْلِهِ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[٩٦] وَقَوْلِهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾[٩٧] وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ.

وَالْمَقْصُودُ إِخْبَارُ الْجَمَاعَةِ بِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْنَا فَوْقَ مَا كَانَتْ بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ، وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي زِيَادَةٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ. وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ خِدْمَةُ الْجَمَاعَةِ بِاللِّقَاءِ فَأَنَا دَاعٍ لَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قِيَامًا بِبَعْضِ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّهِمْ، وَتَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي مُعَامَلَتِهِ فِيهِمْ. وَالَّذِي آمُرُ بِهِ كُلَّ شَخْصٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ، وَيَعْمَلَ لِلَّهِ، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ، مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَيَقْصِدَ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَاءَ، وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَيَكُونَ دُعَاؤُهُ وَغَيْرِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ[٩٨]، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ

في هذا: أنه إذا ورد أحد هذين اللفظين مفردًا عن الآخر فالمقصود به دين الإسلام كله، ولا فرق حينئذٍ بين الإسلام والإيمان.

وأما إذا ورد هذان اللفظان معًا في سياق واحد، فالإيمان يراد به: الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب كالإيمان بالله تعالى ، وحبه وخوفه ورجائه سبحانه وتعالى والإخلاص له. وأما الإسلام: فيراد به الأعمال الظاهرة التي قد يصحبها الإيمان القلبي، وقد لا يصحبها فيكون صاحبها منافقًا أو مسلمًا ضعيف الإيمان.

(٩٦) سورة النساء، رقم الآية (٩٢).

(٩٧) سورة المائدة، رقم الآية (٦).

(٩٨) الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات من دعاء الرسل والأنبياء الكرام، فقد دعا به نوح عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ودعا به إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ وأمر الله نبيه ﷺ أن يدعو به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وحكاه الله عن المؤمنين الصادقين المخلصين فقال ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ

قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّك وَعَدُوِّهِمْ، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْهُمْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ مَا أَبْقَيْتهمْ. وَاجْعَلْهُمْ شَاكِرِينَ لِنِعَمِك مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْك، قَابِلِيهَا وَأَتْمِمْهَا عَلَيْهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ(٩٩).

اللَّهُمَّ أُنْصُرْ كِتَابَك وَدِينَك وَعِبَادَك الْمُؤْمِنِينَ، وَأَظْهِرْ الْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثْت بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

اللَّهُمَّ عَذِّبْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِك، وَيُبَدِّلُونَ دِينَك، وَيُعَادُونَ الْمُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ خَالِفْ كَلِمَتَهُمْ وَشَتِّتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاجْعَلْ تَدْمِيرَهُمْ فِي تَدْبِيرِهِمْ، وَأَدِرْ عَلَيْهِمْ دَائِرَةَ السَّوْءِ.

آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فيستحب لجميع المسلمين الدعاء بالمغفرة لإخوانهم المسلمين، الأحياء منهم والميتين ، ولا شك أن الملائكة ستؤمن على دعائه وسيأتيه مثل ما دعا به.

وللفائدة ... لم يصح حديث في تعيين فضل معين للاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، وما ورد في ذلك لا يثبت، وفي أسانيدها ضعف وفي متونها نكارة، إذ فيها مبالغة في الأجر لا تتناسب مع العمل. فتضعيف الأحاديث هو تضعيف لأن تكون من كلام النبي ﷺ ولخصوص الأجور المذكورة فيها، وذلك لا يعني عدم استحباب الاستغفار لجميع المسلمين والمسلمات. والله أعلم.

(٩٩) أخرج أبو داود (٩٦٩) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: وكان يُعلمُنا كلماتٍ، ولم يكن يُعلّمُناهنَ كما يُعلّمُنا التَّشهُدَ: **اللهم ألّف بين قُلوبنا، وأصلح ذاتَ بيننا، واهدِنا سُبُلَ السلام، ونَجنا من الظلمات إلى النور، وجَنبنا الفواحِشَ ما ظهر منها وما بَطَنَ، وبارِكْ لنا في أسماعنا، وأبصارنا، وقُلوبنا، وأزواجنا، وذُرّياتنا، وتُب علينا، إنك أنت التوَّابُ الرحيمُ، واجعلنا شاكرين لِنعمتِك، مُثنين بها قابِليها، وأتِمَّها علينا**. وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٩/١٠) والبخاري في الأدب المفرد (٦٣٠) عن ابن مسعود موقوفاً. ورجح الدارقطني في العلل (٨٥/٥) الموقوف.



اللَّهُمَّ أَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَك الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

اللَّهُمَّ مُجْرِيَ السَّحَابِ، وَمُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ(١٠٠).

رَبَّنَا أَعِنَّا وَلَا تُعِنْ عَلَيْنَا، وَانصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا، وَامْكُرْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ عَلَيْنَا(١٠١)، وَاهْدِنَا وَيَسِّرْ الْهُدَى لَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْنَا.

رَبَّنَا اجْعَلْنَا لَك شَاكِرِينَ مُطَاوِعِينَ مُخْبِتِينَ، أَوَّاهِينَ مُنِيبِينَ(١٠٢).

رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا، وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا(١٠٣)، وَثَبِّتْ حُجَّتَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا. وَاسْلُلْ سَخَائِمَ صُدُورِنَا(١٠٤).

وَهَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِلَفْظِ إفْرَادٍ وَصَحَّحَهُ(١٠٥). وَهُوَ مِنْ أَجْمَعِ الْأَدْعِيَةِ بِخَيْرِ

---

(١٠٠) من أدعية النبي ﷺ على الأحزاب، أخرجه البخاري (٣٠٢٧) ومسلم (٢١-١٧٤٢) عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

(١٠١) الْمَكْرُ هو الخِداعُ، وهو مِن اللهِ إيقاعُ بَلائِه بأعدائِه مِن حيثُ لا يَشعُرون في قابلة مكرهم. وهو صِفةُ كَمالٍ في حَقِّه تعالى مِن صفاتِه الفِعليَّةِ المقيَّدةِ الَّتي تقَعُ بمَشيئتِه، فلا تُطلَقُ على اللهِ تعالى إلَّا في سبيلِ المقابَلةِ والجزاءِ لِمَن يَمكُرُ به تعالى وبأوليائِه.

(١٠٢) الأوَّاهُ: كثيرُ التَّضرُّعِ والدُّعاءِ والبُكاءِ للهِ عز وجل. والمنيبُ: كثيرُ الرُّجوع إلى اللهِ مِن الذُّنوبِ والخَطايا.

(١٠٣) أي: امْسَحْ ذنوبنا وآثامنا، وذَكَر الغَسْلَ لِيُفيدَ إزالتَه بالكُلِّيَّةِ.

(١٠٤) أي: أخرِجْ مِن قلوبنا الحِقْدَ والغِلَّ، والحسدَ والغِشَّ.

(١٠٥) في سنن الترمذي (٣٥٥١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ**: رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا. رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي. وأخرجه أيضًا أبو داود (١٥١٠) والنسائي في السنن الكبرى (١٠٣٦٨) وابن ماجه





الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُ شَرْحٌ عَظِيمٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ نَاصِرِ السُّنَّةِ وَخَاذِلِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْغِرَّةِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا[١٠٦].

(٣٨٣٠). وذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥).

([١٠٦]) مجموع الفتاوى (٢٨/٤١).

